

ألف حكاية وحكاية (٥)

كلمة سحرية

وحكايات أخرى
يرونها

يعقوب الشاروني



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر
شارع كاترين
القاهرة

ابن من !!!

ذات يوم، ذهب رجلان إلى حكيم بلديهما وقالاه:
"جننا إليك نعرض مشكلتنا، التي لا نستطيع حلها. فكل منّا
يملك ناقّة، توشك على الولادة. وذات صباح، وجدنا الناقتين قد
وضعتا صغيرين، وكان أحدهما حيًا والآخر ميتًا. ونحن لا نعرف لمن
هذا الصغير الحي؟ وأية ناقّة منهما ولدته؟!! فالناقتان ترضعانه
وتلاطفانه، وهو يلاعبهما ويرضخ منهما بنفس مقدار حبهما له.



قال الحكيم:

"خذا الناقَتَيْنِ إلى شاطئِ النهرِ، وتُتصَّعا الصغيرَ على الشاطئِ الآخرِ، وسوفَ تجدانِ الحِلَّ".

ونفذَ الرجلانِ ما قاله الحكيمُ، فخافَ الصغيرُ، وأخذَ يهرولُ ويصرخُ.

وقلقتِ الناقَتانِ أيضًا، وصاحتا، وأخذتِ إحداهما تجري بمحاذاةِ الشاطئِ، وقفزَتِ الأخرى إلى الماءِ في اندفاعٍ وبغيرِ ترددٍ، وسبحت إلى الصغيرِ حتى وصلتْ إليه.

عندئذٍ عرفَ الرجلانِ مَنْ هي أمُّ ذلكَ الصغيرِ.



كلمة سحرية

اعتادت طفلة الإهمال، ففي يوم واحد تسلقت شجرة فمزقت ثوبها، وكسرت طبقاً جديداً وهي تجفف الأطباق، وسكنت زجاجة الحبر على كراسة الواجبات المدرسية. وبعد كل حادث تسرع إلى أمها وتقول: "إنني آسفة" وكأنما تعتقد أن هذه الجملة فيها العفو والفران.

وفي اليوم التالي، اسقطت المربى على غطاء المائدة الأبيض، ثم قالت لأمها: "إنني آسفة." عندئذ قامت والدتها، ووضعت حول راس الابنة منشفة بيضاء كأنها عمامة، وناولتها عصاً خلقتها من حامل المناشف ووضعتها في يدها، وقالت لها: "أنت الآن ساحرة. وهذه عصاك السحرية.. رددي الكلمة السحرية: إنني آسفة، عشر مرات، على بقعة المربى هذه."

أطاعت الطفلة أمر أمها، وظل بقية أفراد الأسرة يكتفون ضحكهم. فلما انتهت قالت الأم: "هل اختفت البقعة؟" قالت الابنة وقد خنقها البكاء: "لا.. إنها لن تزول حتى لو قلت إنني آسفة مليون مرة."

قالت الأم: "إذن فهي ليست كلمة سحرية. إن كلمة: إنني آسفة، لا تمحو بقعة كان يمكن تجنبها بشيء قليل من الحذر." ومنذ ذلك اليوم، كلما لاحظت الأم أن ابنتها توشك على

العودة إلى الإهمال، تُسرَعُ وتَضَعُ المنشفة والعصا بجوارها، لِتَذْكُرَها
وتُنبِّهَها.



رحلة مع حارس

خرجت مع بعض رفاقي ذات يوم في رحلة إلى القناطر
الخيرية، فقضينا هناك يوماً كاملاً نلعب ونمرح. فلما تهيأنا للعودة،
أخذنا نجمع الحقائب والسلال وأدوات الأكل التي كانت معنا.
وكان يصحني في هذه الرحلة كلبى "حارس"، ومن عادته أن
يطيعنى إذا أمرته. ولكنه في هذه المرة لزم مكانه فلم يتبعنى ولم
يسمع إلى ندائى، فأخذت أعيذ النداء عليه، وأصفر له وأشير بيدي،
وهو واقف في مكانه يهز ذيله، ولا يريد أن يتحرك.
أغضبني هذا منه، فذهبت إليه لأؤذبه على هذا العصيان. ولما
اقتربت منه، زاد اهتزاز ذيله، وأخذ يهفهم ويدور في مكانه.
أدهشتني حركته هذه، ونظرت إلى حيث كان واقفاً، ففهمتُ
السراً! لقد رأيت ساعتى الثمينة ملقاة على العشب.. كانت قد سقطت
من يدي فلم أشعر بها، فظل الكلب واقفاً بجانبها يحرسها، ولا يريد
أن يترك مكانه حتى حضرت فأخذتها!





زوجة المهندس

لى صديق من المهندسين، الذين تقوم على اكتافهم صناعة استخراج البترول. عندما ذهب إلى العمل في منطقة صحراوية بعيدة، صحبته الزوجة إلى مقره الجديد، لكنها سرعان ما كرهت المكان.

كان زوجها يخرج إلى منطقة العمل، ويتركها وحيدة، يكاد يقتلها الإحساس بالضيق والضجر، فقد كانت حرارة الجو فوق ما تحتمل، ولم تكن تجد من تحدثه أو تتسامر معه، وكان الطعام الذي تأكله والهواء الذي تستنشقه محملين بذرات الرمال. وبلغ بها الضيق مبلغا كبيرا، حتى إنها كتبت لوالدها خطابا قالت فيه: "لقد قررت أن أترك زوجي، وأعود إليكم."

وتقول الزوجة: رد أبي على خطابي بسطرين فقط، ساظل أذكرهما طوال حياتي، لأنهما غيرا مجرى حياتي تماما. وهذان السطران هما: "من خلف قضبان زنزاني سجن، نظر إلى الخارج اثنان من المساجين، فتوجه أحدهما ببصره إلى وحل الطريق، أما الآخر فتطلع إلى نجوم السماء."

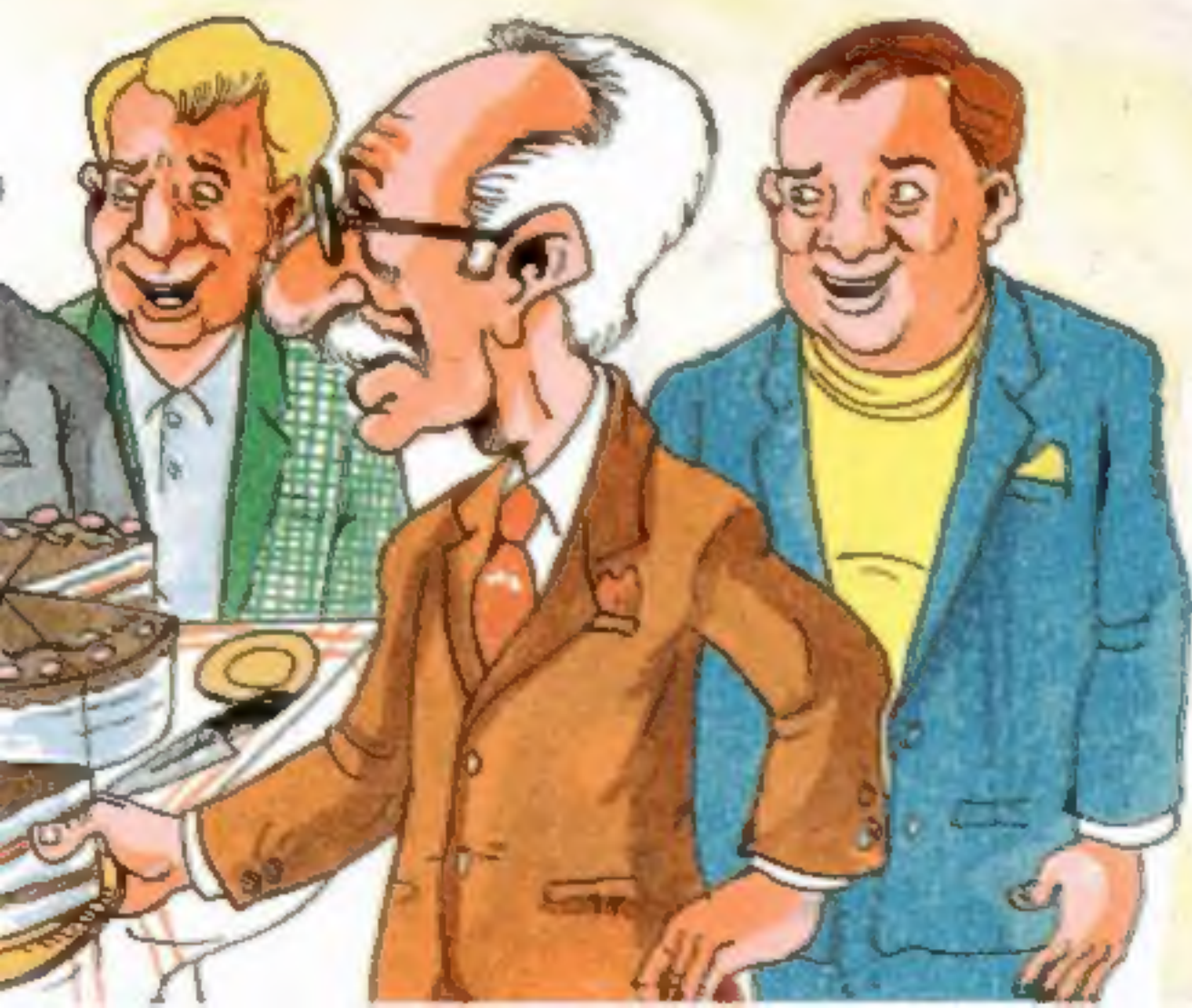
وتقول الزوجة: "لقد خجلت من نفسي، وقررت أن أنظر إلى نجوم السماء. وسرعان ما تعرفت على زوجات العمال، وعرفت عن حياتهم ومشكلاتهم الشيء الكثير، وعلمتهم أشياء كثيرة مفيدة."

ورحت أَدْخِلُ البهجةَ على نفسي بتأملِ مغيبِ الشمسِ في الصحراءِ،
والسحبِ التي تبدو أحيانًا في السماءِ. كما اخذتُ أشغلُ وقتَ
فراغِي بالتقاطِ الأصنافِ من الرمالِ التي كانت يومًا ما قاعًا
للمحيط. إنَّ الصحراءَ لم تتغيرَ، لكنني أنا التي حاولتُ تغييرَ نفسي.



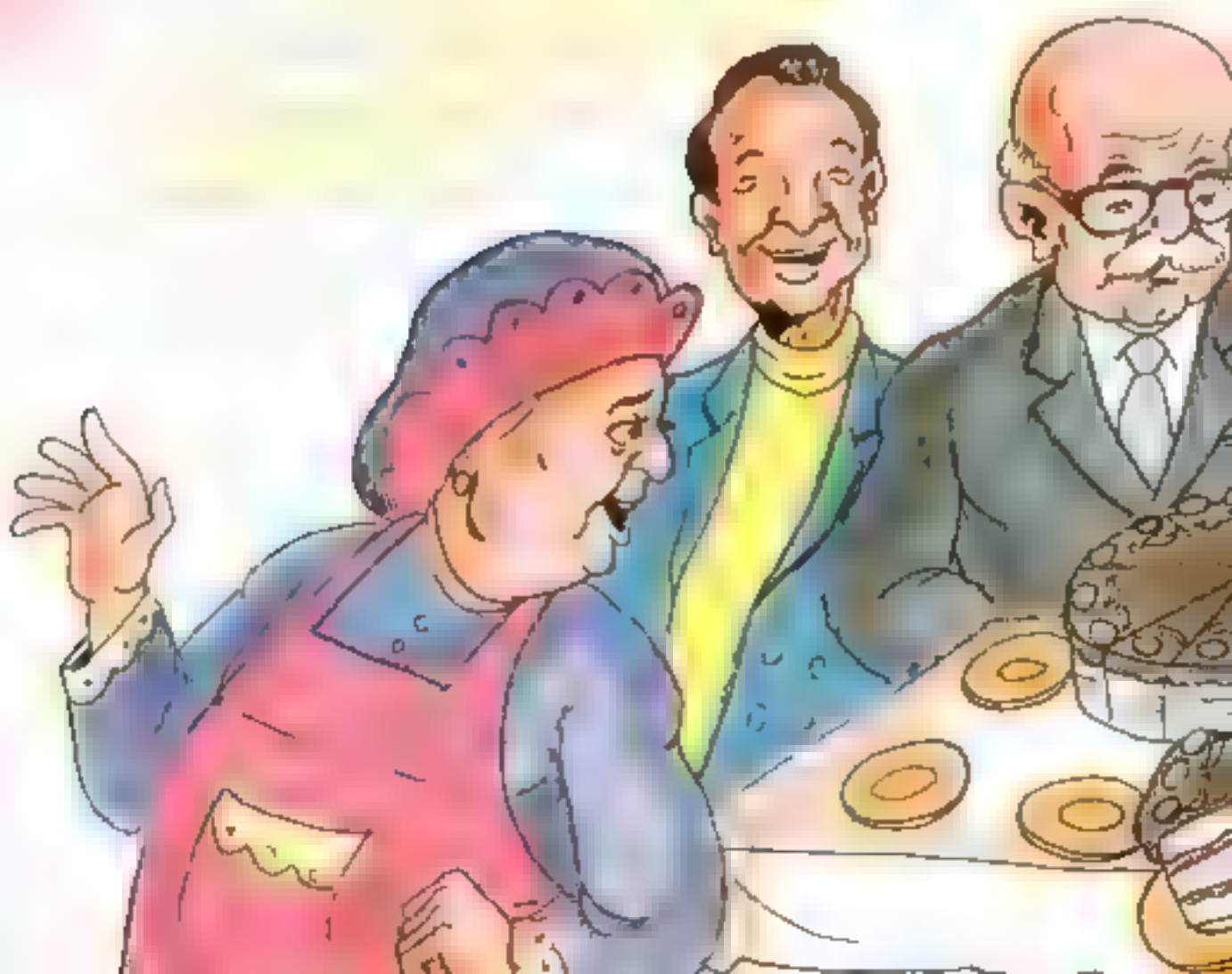
القطعة العاشرة

فضى الدكتور "ألبرت شفايتزر" سنوات طويلة من حياته فى
أواسط إفريقيا، يُعالجُ أهالى المناطق البعيدة عن العمران، وقد
حصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٥٢.
وذات يوم، كان يزور القرية التى وُلد فيها بأوربا، فاصطحبه بعضُ
الأصدقاء إلى أحد المطاعم لتناول الطعام. وكانت فى انتظاره كعكةُ
كبيرة، احتفالاً بالمناسبة.



وعندما جاء وقتُ لطِيع الكعكة، قدّموا السكين للدكتور
شفايتزر، فوقف، ووضع سلاحها على الكعكة، ثم قام بإحصاء
الموجودين حول المائدة، فتبيّ أنهم تسعة، لكنّ شفايتزر قطع
الكعكة الى عشرة أجزاء. ومدّ يده بالقطعة الرائدة إلى عاملة المطعم
قائلاً:

"وهذه قطعة للسيدة التي تخدمُ بخدمتنا."



الذئب الغبي

يُحكى أن ذئبًا كان يعيش وحيدًا في حجرة. ولم يحدث مرةً واحدةً في حياته أن يظف بيته أو أصلح شقوقه. كان البيت قَدْرًا مُتهالكًا يوشك أن يسقط.

دات يوم، كان فيلٌ يمرُّ بجوار بيت الذئب، فاصطدم به اصطدامًا سيّطًا، لكنها كانت كافيةً ليسقط سقف البيت. قال الفيل للذئب:

"أنا آسف جدًا .. أقدم لك اعتذارى. لم أقصد أن احطم سقف بيتك .. سأقوم بإصلاحه في الحال."

وكان الفيل نشيطًا ماهرًا، فتناول مطرقةً وبعض المسامير. وسرعان ما أصلح السقف، فعاد أفضل مما كان.

قال الذئب لنفسه: "يبدو أن الفيل يخاف مني .. لقد بدا فقْدُم لي اعتذاره، ثم أسرع بإصلاح السقف. لماذا لا أطلبه بإقامة بيتٍ جديدٍ لي؟! ما دام يخاف مني، فسيفد ما أطلبه منه."

لذلك صاح الذئب بالفيل قائلاً: "ما هذا الذي فعلت؟! هل تتصور أنه يمكن أن تنتهي عن المسألة بهذه البساطة؟! لقد أطحمت بسقف بيتي. ثم أعدت تركيبه على أسوأ صورة، والآن تحاول الفرار؟ لا بد أن تبني لي بيتًا جديدًا! لا تقف عندك هكذا ولا لقتلتك درسًا لن تساه."

ولم يقل الفيل شيئاً، بل تقدّم في هدوء، ومدّ خرطومهُ وأمسك
الذنّب من وسطهِ، ورفعه عاليًا، ثم ألقي به في حفرة ملأته بالماء
الراكد .. ثم جلس بجسمهِ الضخم فوق بيت الذنّب. وبعدئذ قال
وهو يسير مُبتعدًا: "ها هو بيتك الجديد الذي تُريده مني."
قال الذنّب وقد أصابته الدهشة: "لست أفهم شيئاً .. لقد بدا
فاظهر لي شديد أسفه، وفي النهاية يفعل هذا! الحقيقة أنا لا أفهم
أى شيء."

صاح به غرابٌ عجوزٌ حكيمٌ شاهد القصة من بدايتها: "أيها الغبيُّ
الأحمق .. أنت الذي لا تعرف الفرق بين تصرفات الجبان الضعيف،
وتصرفات القوي الذي يتعامل بالدوق والأخلاق الفاضلة مع مَنْ هو
أضعف منه."



الألوان والأيام

غضب أحد الملوك على وزير في مملكته، وأمر بسجنه .. وأعلن أنه لن يصقح عنه حتى يُحضّر له خيلاً لونه ليس بالرمادي ولا بالأسود، ولا بالأحمر ولا بالأبيض، ولا بالأسمر، وليس أشهب، ولا أرقط .. وباختصار، عدّد الملك كل الألوان التي يمكن أن يكون عليها خيل من الخيول.



وسمعَ الوزيرُ بذلك، فوعَدَ أن يُحضِرَ الخيلَ المطلوبَ، إذا أطلقَ
الملكُ سراحَهُ.

ثم أرسلَ الوزيرُ إلى الملكِ يطلبُ أن يُرسلَ مَنْ يتسلَّمُ الخيلَ
الذي طلبَهُ، على ألا يبعثَ برسولِهِ في يومِ السبتِ أو الأحدِ أو
الاثنينِ أو الثلاثاءِ أو الأربعاءِ أو الخميسِ أو الجمعةِ، ولكن في أيِّ
يومٍ آخرٍ يختارُهُ جلالَتُهُ من أيامِ الأسبوعِ!!



مَنْ مِنْهُمَا أَهَمُّ؟

حكى جحا قال: ذات يوم، جاءني شيخٌ بليدينا يسألتني:

"هل السلطانُ أهمُّ أم الزارعُ؟"

قلتُ:

"طبعًا الزارعُ أهمُّ، لأنه إذا لم ينتجِ الفلاحُ القمحَ، عانى

السلطانُ من الجوع!!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختصارها وإعادة صياغتها
من الأدب الشعبي والعربي القديم والحديث